



سبقتنا، وطريق الموت عامرة

بالسالكين، فمن ماضٍ ومن تالي

ومن مخفٍ على درب الهدى ضحكت

له الطريق، ومن حمال أثقال

أرثيك؟ لـون حروفي لا أميزه

والحزن يزرع في كفِّي أغلالتي

هكذا بكى الشاعر عبد الرحمن

العشماوي أستاذه عبد الرحمن رأفت

الباشا، وهكذا يبكي الشعراء من يحبون...

وهكذا يكون الشعراء حينما يكون يتوهج

شعورهم حتى لتكاد تعصرهم عواطف

الأحزان، وتتفتق أخيلتهم فيهممون في

أودية لم يعهد لها البشر:

أنباء موتك هزتني فجاءتها

وزلزل القلب منها أي زلزال

أحس أن الرياض استوحشت وبكت

مثلي، وأن فؤادي ليس بالسائي

وأن بوابة الأفراح مقفلة

ولم تكن تشتكي من جور أقفال

لقد أغلقت بوابة الأفراح - في رؤية

الشاعر الملتاع منافذها بفقد رائد من رواد

الأدب الإسلامي... خطط لمناهجه، ووجه

الدارسين والباحثين في حقله، وأشرف

على الرسائل والأطروحات الجامعية التي

سارت على دربه... ومعنى ذلك أنه لم يكن

منظرا فحسب، وإنما كان مطبقا أيضا.



محمد جاد البنا - مصر

(*) مجلة الدعوة، ٢٠ ذي الحجة ١٤٠٦هـ الموافق ٢٥ آب/أغسطس ١٩٨٦م.

«الباشا نتاج ثقافة إسلامية عريقة»

كان الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا نتاج ثقافات عربية أصيلة بدأت بالقرآن الكريم في حلب ودمشق، وتغذت برحيق من معارف الأزهر القديم ومناهجه الأصولية، ثم صقلت هذه الثقافات برفد من القراءات النواعية والمتابعات الهادفة والحضور الواعي، والانتباه لكل ما يدور حوله من قضايا ومشكلات... ولعله - رحمه الله وغفر له - تنبه إلى ما يحاول الصليبيون والشيوعيون والعلمانيون وغيرهم أن يفعلوه في مجالي التربية والثقافة، وبالأذات في محيط الأدب دراسة وابتكارا على طول الوطن العربي وعمقه، وعلى طول العالم الإسلامي وعرضه...

إنهم على ما يقول الأستاذ عبد الله بن صالح العريني أحد تلامذة الباشا - ينتجون أدبا ييثون فيه دعواتهم الفاسدة ومذاهبهم الباطلة... وإذا كان الميثرون ينتجون أدبا يحاولون فيه نشر النصرانية بين أبناء المسلمين، وإذا كان الوجوديون يجسدون في أدبهم الكفر والضلال والانحلال... إذا كان ذلك كذلك فحري أن يكون للمسلمين أدب يعبر عن قضاياهم من خلال موقف متميز يهدي إلى الحق بإذن الله، ويعين على قيام المجتمع الإسلامي الكريم...

الأدب الإسلامي ملصق مميز لشخصية الباشا:

وإذا كانت قضية الأدب الإسلامي هي الملصق المميز لشخصية الباشا فمن الأمانة أن نقول: إنه لم يكن أول من اخترعها أو أشار إليها ومهد لها، وإنما هي - كمادة خام - تعتبر موجودة في معظم ما حملته إلينا الأمهات القديمة (من الكتب) باستثناء ما في بعضها من مجون مكشوف - وهي موجودة في معظم ما كتبه أدباء المسلمين ومفكروهم بدءا من حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وحتى الرافي وعزام وشكيب أرسلان وسيد قطب... إلا أن المنهج بمعناه العلمي الدقيق - لم يكن متبلورا إلا في العهود

المتأخرة حينما بدأ هذا النهج فارس مجهول ومسكوت عنه من قبل النقاد والدارسين، إنه الأستاذ الجليل محمد خلف الله أحمد - رحمه الله وأحسن إليه - فقد أخرج للناس كتابا جيدا في الأدب الإسلامي - لا أعرف كتابا سبقه في هذا المضمار... ثم تلا ذلك ما كتبه ودعا إليه سيد قطب وأبو الحسن الندوي والدكتور نجيب الكيلاني، ثم تميز الدكتور الباشا، فإنه دعا وطبق من خلال مؤلفاته القليلة وبحوث طلابه الكثيرة...

ولعل سلسلة صور من حياة الصحابة... وحياة التابعين، فضلا عن مؤلفاته الأخرى تكفي للتدليل على التطبيق التربوي الهادف الذي أراد الباشا أن ينفذ من خلاله إلى نفوس ناشئة الجيل وكل جيل؛ ليبين لهم في أسلوب مشرق وعرض فني رائع، وأداء متميز، عظمة هؤلاء الشوامخ، وليبين لهم كذلك عظمة المدرسة النبوية الأولى التي كونت هؤلاء العظماء وقدمتهم كنماذج حية وفاعلة تشير إلى جلال الإسلام وجماله وعظمته وامتداد أثره.

الأدب الإسلامي مضمون يحمل رسالة:

وكان الباشا - وهو الأستاذ ذو التجارب - كان يود - دون أن يفصح عن ذلك أو يعلنه وإنما يبيد في كتاباته وتوجيهاته - أن يجعل للفكر الإسلامي وللمفكرين السيطرة والنفاذ، وأن يستخلصهم ويستخلصه من براثن زمن سادت فيه قيم أخرى، وفتحت فيه منافذ أخرى، وتقهقر الفكر المسلم، وقنع المفكرون بأن يتأثروا ولا يؤثروا... ويشاركوا دون أن يضيفوا. والأدب الإسلامي ليس شكلا ولا رسوما... وليس زخرفة ولا طقوسا، وإنما هو في جوهره مضمون يتبنى قضية، وقضية تحمل رسالة، والرسالة إسلامية المنزع، تربوية الهدف، طاهرة الوسيلة والغاية، ومن ثم فهي تتبنى فكرا عن طريق بث قيم الإسلام الفضلى، ومبادئه السامية المثلى، وبإلها من رسالة!



«موسوعة أدب الدعوة الإسلامية»

أما تلامذة الباشا في جامعة الإمام فقد أسهموا . اتباعا للمنهج الذي رسم، والخطة التي وضع، والتوجيه السديد لخطواتهم . في بدء ما أطلق عليه موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، وتمثلت في أعمال ستة موثقة، قام بها كوكبة من شباب كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، خرجت إلى الناس مع نهاية القرن الهجري المنصرم في ثوب قشيب بعد متابعة دقيقة وحرص شديد.

وقد فعل الرجل ما فعل دون جلبية أو ضوضاء أو جلجلة إعلانية، فكنا نرى طحنا وفيرا دون أن نسمع جعجعة صارخة مما تعودها الناس... فالرجل مع ذلاقة لسانه لم يكن ثرثارا في كل ناد يخطب، وهو مع فصيح بيانه لم يكن من هواة النجومية، وإنما هو عالم بضاعته العلم، وسوقه الرائجة هناك بين مقاعد الدرس وقاعات الجامعة، شأن الذين ينكرون أنفسهم عن اقتناع وقناعة؛ لأنهم يدركون حجم رسالتهم، وخطورة قضيتهم، وجلال عملهم الذي هم به منشغلون.

ومن ثم فلم يترك الباشا مؤلفات يتسابق بها كما وعددا، وإنما أنفق معظم وقته وجهده في التوجيه والإشراف والريادة، فأعطى لغيره ما حرم منه نفسه، ومهد لتلامذته، ودفع بهم إلى مقدمة الصفوف، وهذا شأن عظماء النفوس!

يبقى المخططون والمنظرون لمناهج الأدب الإسلامي على ذلك مدينين لما أنفقه الدكتور الباشا من وقت وجهد، وما بذله من إخلاص وصدق في سبيل دعم هذا الاتجاه النبيل.

«ازدهار الأدب الإسلامي هو التكريم الحق»

وفي رأيي . كداس متواضع في حقل الأدب الإسلامي . أن الإحسان إلى الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، والتنويه بفضله وعلمه وجهده لا يكون من خلال البكاء عليه أو استبكاء الآخرين، فقد لقي ربه راضيا مرضيا بعد أن بلغ أجله، وسلك طريق الموت الذي لا مفر من سلوكها... وإنما يكون الإحسان إليه بإحياء جهوده، ومتابعة خطته، والإضافة إلى منهجه، والسير على ذلك الدرب الصعب مهما كان شاقا... درب الأدب الإسلامي، فما زال يجد من الأصوات المناوئة أكثر بكثير مما يجد من الأصوات المساندة... ومن

أسف أن معظم المناوئين من حملة الدرجات العلمية الكبرى، ومن خريجي الجامعات العربية، بل إن بعضهم من خريجي الجامعات الإسلامية ذات التراث العريق، وحجتهم: أن كل الأدب إسلامي، فلماذا التفرقة والتمسح بالتقسيمات والمصطلحات؟

ولا نود ونحن في موقف وفاء لراحل كريم أن نشير غبار معركة لم يحن حينها... وإنما نود... وبكل الصدق . أن نكرم الرجل ما وجدنا إلى تكريمه سبيلا، ولا سبيل غير الحث والعمل على

ازدهار الأدب الإسلامي، شعرا وقصة ورواية ومسرحية ودراسة ومناهج نقدية... إلخ...

حينذاك تفتح بوابة الأفراح منافذها، فليس هناك ما هو أفضل ولا أنبل من أن يتواصى على الحق والخير رجال وعقول وحمة أقلام.

ولا نملك في النهاية إلا أن ندعو الله مخلصين أن يبيؤ الراحل الكريم ما هو أهل له، وأن يندق عليه سعائب الرحمة والرضوان... وأن يهب أهله وذويه وتلامذته وعاريفه فضله الصبر الجميل والأجر الجزيل ■

